الإنسان في الرؤية القرآنية

محاضرة للشيخ الجليل تقي جعفري ﷺ

تعريب: الشيخ فضيل الجزائري

القسم الأوّل : أبعاد الإنسان

نجد عنّد التأمل في المفاهيم القرآنية أنّ للإنسان ، الذي يمثّل مفردة من مفردات الوجود ، أبعادا ثلاثة تميّزه عن باقي الموجودات - مجردة كانت أو مادية - ، ولكل بعدٍ من هذه الأبعاد ظهورات وتجليات يصفها القرآن بدقة فائقة تحير العقول .

أولا - أبعاد الإنسان :

وهذه الأبعاد يعرضها القرآن الكريم كما يلي :

١ - البعد الطبيعي (الحيواني):

الإنسان في هذا البعد لا يرى سوى ذاته ، بل هو مستعد أنْ يضحّي بكل نفيس وجميل لأجل ذاته فقط . ونشير في مايلي إلى الخصوصيات التي يتجلّى فيها الإنسان الطبيعي كما بيّنتها الرؤية القرآنية :

أ - **يحب المال حبّا شديدا:** قال تعالى: (وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ) العاديات/الآية ٨ . وقال تعالى : (أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ...) التكاثر/١ ، وقال تعالى : (وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا) الفجر/ ٢٠ .

ب - **فرّ من الضرر** : قال تعالى : (وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُم مُنِيبِينَ إِلَيْهِ) وقال تعالى : (وَإِذَا مَسَّ الإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ) الزمر/الآية ٨.

ج - **ذو مكر:** قال تعالى: (إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ) يونس/ ٢١ ، وقال تعالى : (وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ) الأنفال/٣٠، وقال تعالى : (وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِن بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَكْرٌ فِي آيَاتِنَا) يونس/٢١.

د - **الطغيان عن الاستغناء:** ، قال الله تعالى : (كَلاَّ إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَى، أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى) العلق/٦-٧.

هـ - **عجول** : قال تعالى : (خُلِقَ الإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ) الأنبياء / ٣٧، وقال أيضاً: (وَكَانَ الإِنسَانُ عَجُولاً) الإسراء /١١ .

و - ضعيف : قال تعالى : (وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفًا) النساء/ ٢٨ .

ز - بخيل : قال تعالى : (وَكَانَ الإِنْسَانُ قَتُورًا) الإسراء/١٠٠ .

ح - غير معتدل : قال تعالى : (إِنَّ الإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا) المعا رج / ١٩ .

ط - مجادل : قال تعالى : (وَكَانَ الإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلا) الكهف/ ٥٤ .

ي - كفور النّعمة : قال تعالى : (إِنَّ الإِنسَانَ كَفُور) الشورى/ ٤٨ .

والسؤال المطروح هو : هل هذه الأوصاف المتعددة تبين ماهية الإنسان الحقيقية ؟ أو هي عبارة عن ظواهر تعرض على الإنسان لعوامل خاصة ؟ وكي يتّضح الجواب على السؤال السابق نحاول كشف منشأ هذه الأوصاف في نفس الإنسان .

وعند التأمل يمكن إرجاع هذه الصفات المتعددة إلى ثلاثة أقسام :

القسم الأوّل : إنّها صفات ناتجة ونابعة من اختيار الإنسان ، وتندرج تحت هذا القسم الصفات التالية:

١ - المكر .

٢ - الجدال .

٣ - كفران النّعمة .

القسم الثاني : إنّها تمثل نوعية من الصفات نابعة من خلقة الإنسان ذاتها ، وتندرج تحت هذا القسم الصفات التالية :

١ - عجول .

٢ - ضعيف.

٣ - هلوع .

القسم الثالث: إنّ هذا السنخ من الصفات لا تبرز عن الخلقة بمفردها ، بل تضاف إليها عوامل خارجية تجعلها تتصف بهذه الصفات :

١ - حب المال.

٢ - الفرار من الضّرر .

٣ - الطغيان مع الغنى .

٤ - البخل .

وما نحصل عليها من هذه الرؤية القرآنية : هو أن الإنسان في بعده الطبيعي - وبمعزل عن الوجدان - يختزل في حقيقتين :

الأولى : الإنسان حقيقة مادية تخضع للقوانين المادية الحاكمة على الوجود المادي.

الثانية : الإنسان في هذا البعد لا يرى سوى نفسه وذاته ، حيث تمثّل ذاته بالنسبة له المعبود المطلق الذي يتحرك من أجل تلبية مقتضياته ويسعى نحو جلب رضاه.

والنتيجة التي نحصل عليها من تحليل هذا البعد هي : أن الإنسان حقيقة ضائعة لا وزن و لا قيمة لها ، كما يعبّر القرآن الكريم : (إِنَّ الإنسَان لَفِي خُسْر...) العصر/١ .

طرح إشكاليّة :

تبقى مسألة تتصل بالمطالب السابقة ، وهي أنّ الصفات الاختيارية لا تقع موردا للإشكال ؛ لأن الله تعالى يقول : (لا يُكَلِّف اللَّه نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا) البقرة /٢٨٦ ، لكنّ الإشكال يرد على الأوصاف الناشِئة عن الخِلقة أو عن العوامل المضافة إلى الخِلقة، فكيف تكون رذيلة وقبيحة ؟!

للإجابة على الإشكالية السابقة ، يحسن بنا التفكيك بين مسألتين ، هما:

الأولى : بيان وضع الخِلقة ومقتضياتها .

الثانية : البقاء على هذا الوضع وهذه الحالة .

ومن الواضح أن الذي يقع موردا للذم والتوبيخ هو البقاء على هذه الحالة وهذه الوضعية التي عليها الخلقة ، وليس أصل الوضع والحالة . فإن أصل "الضعف" في الإنسان كما تبيّنه الآية المباركة من سورة النساء ، وأصل "عدم الاعتدال" كما تعكسه الآية ١٩ من سورة المعارج ، وكذا أصل "العجلة" التي خلق عليها الإنسان كما نرى ذلك في الآية ١١ من سورة الإسراء ... كلها لا تشكّل عيباً في الإنسان بوصفها مغروسة في خِلقته ، لكن البقاء على هذه الوضعية والخلود في حضنها هو الذي يشكّل عيبا ونقصا في الإنسان .

إذن ، ليس من شأن الإنسان البقاء على هذا المستوى ، بل هو مطالب وفق الهدف الذي خلق لأجله أن يعرج ويعلو ويسمو فوق هذه الأوصاف وهذا الضعف .

وبالبيان نفسه يتضح الجواب على الإشكال الوارد على الصفات من القسم الثالث ، فمن الواضح أنّ اللوّم والتوبيخ لا ينصبّان على الخِلقة الساعية نحو تلبية متطلباتها ، بل ينصب الذم على الإنسان الذي يتجاوز على حقوق الآخرين في أثناء تلبية مقتضيات الخلقة والطبيعة ، فيسقط في ظلم الآخرين والتعدي على حقوقهم.

٢ - البعد المعنوي:

يتجلّى هذا البعد في الحياة الاجتماعية للإنسان ، حيث نجد ثمّة معنى للعلاقات الاقتصادية و الحقوقية و الثقافية ... فعلى مستوى هذا البعد تبدأ إنسانية الإنسان بالظهور ، ومن هنا يبدأ يحترم غيره ويشعر بهموم مَنْ حوله ، ويتعامل مع غيره .

وبعبارة جامعة: تبدأ الحياة المعنوية في الإنسان بالظهور، حيث تتجلّى فيه صفة مميّزة تتمثل في ما يسمّى : التربية .

وإذا تأملنّا جيّداً في الإنسان على مستوى هذا البعد ، نجده يسعى - من خلال توفير هذه الأجواء من تربية و قوانين وحقوق متبادلة - نحو هدفين أساسيين :

الأوّل: المال والمقام (الجاه) .

الثاني: الفِرار من القصاص .

فهو يسعى نحو الهدف الأوّل حتى يوفر لنفسه سعة في التصرّف وكسب قدر أكبر من النفوذ لرفع حاجياته ونقائصه ، ويسعى لتوفير الهدف الثاني للحفاظ على ما اكتسبه من مالٍ وجاه . والآن نأتي لنرى ما هو موقف القرآن من هذه الحالة في الإنسان .

عند الرجوع إلى الرؤية القرآنية ، نجد الهدفين مقبولين من جهة ومرفوضين من جهة أخرى ، فهما مقبولان بوصفهما وسيلة لغاية أسمى وأشرف ، ومردودان بوصفهما غاية وهدفاً ، فمثلا يقول القرآن فيما يتصل بالقصاص : (وَلَكُم فِي القِصَاص حَيَاة يَا أُوْلِي الأَلْبَاب لَعَلَّكُم تَتَّقُون) ، فالحياة في الآية الشريفة منوطة بالقصاص ، أي أنّ الحياة لا تبقى ولا تدوم إلا بإقامة الحدود والقصاص . لكن السؤال الأساسي هو "أيّة حياة هي التي تبقى بإقامة القصاص والحدود ؟ " ، فإذا كان الجواب هو : الحياة الطبيعية المتمثّلة في الأكل والشرب والنكاح والتفاخر... ، فهي حياة لهوٍ ولعبٍ كما ينعتها بذلك القرآن الكريم ، فلا قيمة لهذه الحياة في الرؤية القرآنية. وأمّا إذا كان المقصود من الحياة حياة أخرى "الحياة الطيبة": (مَن عَمِل صَالِحًا مِن ذَكَر أَو أُنثَى وَهُو مُؤْمِن فَلَنُحْيِيَنَّه حَيَاة طَيِّبَة وَلَنَجْزِيَنَّهُم أَجْرَهُم بِأَحْسَن مَا كَانُوا يَعْمَلُون) النحل/٩٧، فنِعم الحياة هي .

والحاصل أنّ الإنسانَ ، وإن تجاوز بهذا البعد طبيعته ووصل إلى حياة تسودها الحقوق والفنون والتربية ومقتضيات الحضارة عامة ، لكنّه لم يصل إلى حقيقَتِه الواقعية التي تتمثل في الإنسان الإلهي والمثالي .

٣ - البعد الإلهي:

والآن، وبعدما تبيّن لنا معنى الإنسان في البعدين السابقين، ورأينا أنّ القرآنَ لا يرضى للإنسان أن يمكث ويبقى واقفاً على هذا المستوى ، نأتي ونسأل : هل ثمّة مستوى آخر للإنسان في الرؤية القرآنية يختلف عن البعدين السالفين ؟

لكي تتضح الإجابة على السؤال السابق ، نعرض لأقسام النفس الإنسانية كما تصوّرها الرؤية القرآنية :

أ - النفس الأمّارة :

المتمثّلة في البعد الطبيعي الذي تناولنا مواصفاته في البحوث السابقة. وهذه النفس خاضعة مقهورة تحت تأثير الغرائز، وبخاصة القُوة الشهوية والغضبية ، ولا يهمّها إلاّ ذاتها تجذب بالقوة الشهوية ما ينسجم معها و تدفع بالقوة الغضبية ما لا يلائمها .

ب - النفس اللوّامة :

وهي عبارة عن تجلٍّ من تجليات الوجدان ، و بفضل هذه القُوة يشعر الإنسان بالسرور إذا قام بفعل حسن ، وبالحزن إذا قام بفعل قبيح . والإنسان ، على مستوى هذه النفس ، لا يمثّل تلك الحقيقة التي يصورها القرآن ، أي البعد الإلهي الذي بفضله يتصل الإنسان بالحق تعالى الكمال المطلق .

ج - النفس المطمئِنّة:

تعد النفس المطمئِنّة أعلى مقام يصل إليه الإنسان في حركته نحو الكمال و الرشد ، يقول تعالى : (يَا أَيَّتُهَا النَّفْس الْمُطْمَئِنَّة * ارْجِعِي إِلى رَبِّك رَضِيَة مَرْضِيَّة * فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَادْخُلِي جَنَّتِي) الفجر/ ٢٧-٣٠.

والسؤال المطروح هو ما هو العامل الأساسي الذي بموجبه يصل الإنسان إلى هذا الكمال (النفس المطمئنة) ؟

ثمّة بُعد آخر في حياة الإنسان تبرزه الرؤية القرآنية يتمثل في (حقيقة الإيمان) ، وبفضل هذه البعد ينجذب الإنسان إلى الغيب ويتصل بالله تعالى الكمال المطلق .

وإليك مواصفات هذا البعد في حياة الإنسان كما تبيّنها وتشرّحها الرؤية القرآنية :

١ - الإيمان نور إلهي :

قال تعالى : (اللَّه وَلِيُّ الَّذِين آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِن الظُّلُمَات إِلى النُّور) البقرة/ ٢٥٧.

نلمح في الآية المباركة حقيقة رائعة ، وهي أنّ "حقيقة الإيمان" ملازمة للخروج من الظلمة إلى النورانية ، أيّة نورانية ؟ نورانية تتجلى في :

أ - التربية .

ب - الأخلاق والسلوك .

ج - العلاقات .

د - المعاشرة .

والأهم من ذلك كله النورانية في الفكرة والمعتقد .

وبعبارة ثانية :

النورانية في الصراط - الشريعة السّمحة - والمبدأ والمقصد ، وهذا الأمر عبارة أخرى عن : التوحيد والمعَاد ، والطريق : النبوة ولوازمها .

٢ - الإيمان والمودّ :

قال تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحمنُ وُدًّا) مريم/٩٦ .

ومن آثار الإيمان - كما نلمح ذلك في الآية المباركة - المحبة المتمثلة في :

أ - محبة الله لعباده المؤمنين .

ب - محبة عباده له تعالى .

ج - محبة الناس بعضهم لبعض .

والنتيجة - التي نحصل عليها من الآثار الناتجة عن حقيقة الإيمان - هي : أن كل حركة وكل تعلق لا يتمحور حول هذه المحبة ولا يورث هذه المودة فهو بطلان في بطلان.

٣ - الإيمان والتقوى والعلم :

قال تعالى: (وَاتَّقُوا اللَّه وَيُعَلِّمُكُم اللَّه ...) البقرة/٢٨٢ ، تربط الآية الكريمة بين الإيمان والعلم الذي يمثّل الاتصال بالعلم المطلق .

٤ - الإيمان ضد الخوف والحزن :

قال تعالى : (فَمَن آمَن وَأَصْلَح فَلا خَوْ ٌ عَلَيْهِم وَلا هُم يَحْزَنُون) الأنعام/٤٨ . تربط الآية الكريمة بين الإيمان وعدم الخوف والحزن ، وهذا من روائع البيانات القرآنية.

ثانيا - الكمال الإنساني:

والسؤال الذي يفرضه الذهن هو ماذا يترتب على الاتصاف بالإيمان ذي المواصفات المتعددة السابقة ؟ نلتمس الإجابة على هذا السؤال من المفاهيم التي يثيرها القرآن الكريم ، حيث يقول تعالى : (فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُم يَرْشُدُونَ) البقرة/ ١٨٦ ، ويقول تعالى أيضا : (فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَٰئِكَ تَحَرَّوْا رَشَداً) الجن/١٤ ، وقال تعالى في موضع آخر: (وَلَقَد آتَيْنَا إِبْرَهِيم رُشْدَه) الأنبياء/٥١ ، وأيضاً يقول تعالى: (رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئ لَنَا مِن أَمْرِنَا رَشَداً) الكهف/١٠.

نلحظ من مجموع الآيات السابقة العلاقة والملازمة بين " الإيمان "و" الرشد " [1] ، أي العلاقة بين "الإيمان" كحالة نفسانية ووجودية ، وبين "الكمال" كحالة وجودية أخرى . لكن "الرشد" ينطوي على خاصيّة من حيث المصداق غير موجود في "الكمال" ، هي : أن الشيء الواصل إلى مقام الرشد قد انتقل من مرتبة دانية إلى مرتبة عالية.

وبعبارة ثانية : أنّ للشيءِ المتصف بالرشد مراتب متغيّرة يصعد ويرقى فيها ، فمثلاً إذا قلنا : إنّ حبة الحنطة وصلت إلى حالة الرشد ، يعني هذا أنَّها لم تكن لها هذه الحالة من الرشد ووصلت إليها عن طريق تغيّرها وتبدّلها التي اكتسبتهما من خلال حركتها التكاملية ، و لذا لا يتّصف الله تعالى - الذي يمثّل عين الكمال المطلق - بالرشد ، فلا نقول : الله تعالى يرشد ، في حين أنّه تعالى مطلق الكمال .

ملاك الكمال الإنساني :

إنّ للإنسان أو المجتمع نوعين من الكمال (الرشد) : أحدهما ظاهر للجميع ، والثاني لا يتصف به إلا المؤمنون كما أشرنا إلى ذلك في الفصل السابق . ويتمثل الكمال الأول (الظاهري) في "صفة الجمال" و "صفة القدرة" . من الواضح أن الجمال والقدرة هنا هما الجمال المادي والقدرة المادية ، فكل من اتصف - فردا كان أو جماعة - بالجمال والقدرة ينال الكمال والرشد المسانخ لهاتين الصفتين .

---

(١) يستعمل الرشد بمعنى الكمال ، نقول : وصلت الفاكهة إلى حالة الرشد بمعنى اكتملت بحيث تضحى قابلة لأن تستهلك .

لكن هذين الوصفين : "الجمال" و"القدرة" ترفضهما الرؤية القرآنية رفضاً باتاً ، يقول القرآن الكريم : (قُل لا يَسْتَوِي الْخَبِيث وَالطَّيِّب وَلَو أَعْجَبَك كَثْرَة الْخَبِيث فَاتَّقُوا اللَّه يَا أُولِي الأَلْبَاب لَعَلَّكُم تُفْلِحُون) المائدة/ ١٠٠ ، ويقول أيضاً : (وَإِذَا رَأَيْتَهُم تُعْجِبُك أَجْسَامُهُم) المنافقون/٤ ، و قال تعالى : (فَلا تُعْجِبْك أَمْوَالُهُم وَلا أَوْلادُهُم إِنَّمَا يُرِيد اللَّه لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ) التوبة/٥٥ ، ويقول أيضاً : (وَلا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْك إِلى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُم زَهْرَة الْحَيَاة الدُّنيَا لِنَفْتِنَهُم فِيهِ وَرِزْق رَبِّك خَيْر وَأَبْقَى) طه/١٣١ .

الخلاصة :

إن ملاك الكمال والرشد الإنساني (الفردي والاجتماعي) لا يتمثل في الجمال والقوة الماديين ، بل يتمثل في "الإيمان" بالكمال المطلق وما يتصل بالكمال المطلق من شؤوناته وتجلّياته ، وبفضل هذا النور الإلهي يصل الإنسان إلى رشده وكماله المطلوب - القرب الإلهي- ، سواء كان في جامعة إنسانية أو في عزلة عن غيره .

القسم الثاني : المجتمع الإنساني في الرؤية القرآنية

١ - السنن الكونية :

إذا تأملنا في مفاهيم القرآن فيما يتصل بالتكامل الاجتماعي ، نجد أنّ هذا التكامل تحكمه قوانين لا يحيد عنها بحال من الأحوال . و تتمثل هذه القوانين في سنن كونية حاكمة على كل مفردة من مفردات الوجود، سواء كانت مفردة بمعزل عن الأخريات أو في إطار جماعة و في تماس مع باقي المفردات. نلمح هذه الحقيقة في قوله تعالى : (إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحمنِ عَبْدًا ، لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا) مريم/ ٩٣-٩٤ ، وفي قوله تعالى : (وَكُلَّ شَيْء أَحْصَيْنَاه فِي إِمَام مبِين) يس/ ١٢، وفي قوله تعالى : (إِن مِن شَيْء إِلاَّ عِنْدَنَا خَزَائِنُه وَمَا نُنَزِّلُه إِلاَّ بِقَدَر مَعْلُوم) الحجر/٢١ .

فيظهر من الآيات التي سقناها أن كل ظاهرة وجودية ـ فردية أو جماعية ـ تخضع لقانون و سنة كونية ، وكل اعتلاء وسقوط يتم وفق قانون حاكم لا يختلف و لا يتخلف ، وثمّة آيات تبيّن الحقيقة السابقة نفسها فيما يتصل بالحضارات والأمم والمجتمعات ، من قبيل قوله تعالى : (مَا تَسْبِقُ مِن أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ) الحجر/٥ ، والمؤمنون/ ٤٣، و قوله تعالى : (وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ) آل عمران/١٤٠.

٢ . علل اعتلاء المجتمعات وسقوطها :

بيّنا في ما سبق أن الظواهر الإنسانية في بعديها : الفردي والاجتماعي تخضع لقوانين وسنن حاكمة ومسيطرة لا يمكن التخلص منها ، وهي حقيقة ثبتتها الرؤية القرآنية نفسها. والآن نأتي لنرى في الرؤية نفسها ما هي العلل الأساس التي تقع وراء قيام الحضارات و سقوطها .

يظهر حين التأمل و النظر في بعض الآيات الكريمة أنّ علل سقوط المجتمعات و نهوضها ترجع في النهاية إلى النّاس في حد ذاتهم ، يقول الله تعالى: (ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ) الأنفال/ ٥٣ ، ويقول أيضا: (إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ) الرعد/١١، وفي آية أخرى : (وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ ...) الأعراف/٩٦ .

ويظهر من طائفة من الآيات أن علل سقوط واعتلاء الأمم ترجع إلى المجتمعات نفسها ، يقول تعالى : (تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ) البقرة / ١٣٤و١٤١ .

ومن هنا ، يمكن لنا استخلاص النتائج التالية :

أ - إن علل التغيّرات والتحولات الاجتماعية تكمن في حقيقة الإنسان .

ب - إن العامل المحرك والمغير للتاريخ هو نفس الإنسان .

ج - إنّ المجتمعات تشبه كثيراً الفرد الإنساني كما يظهر من قوله تعالى : (كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ) المدثر/٣٧، وقوله تعالى : (تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ) البقرة / ١٣٤و١٤١ .

تبصرة :

يمكن أن يأتي في الذهن هذا السؤال :

إن الظواهر الكونية والاجتماعية على قسمين :

أ ـ ظاهرة تخضع لاختيار الإنسان ، وظاهرة ضرورية لا دخل للإنسان في تحققها ووجودها . وعلى هذا ، لمن ننسب السقوط والنهوض ، للقسم الأوّل أو القسم الثاني ؟

من الواضح أن عوامل السقوط والارتفاع مرتبطة بالأفعال الاختيارية ، ولا علاقة لها بالظواهر الحتمية الاضطرارية ، لكن الإشكالية تكمن في جهة أخرى ، وهي أنّه من الصعب تصوّر حركة اختيارية لمجتمع ما ، فهل هي "فعّالية اختيارية" لجميع الأفراد أو لبعض منهم ؟ وغير خفي : إنّنا لم نر إلى الآن تحركاً اختيارياً لمجتمع ما بحيث يشمل جميع أفراده شريطة أنّ يكون تحركا واعيا قادرا .

بُغية الوصول إلى حلٍ للإشكالية السابقة ، نحتاج إلى التأمل قليلاً في مكونات الفرد الإنساني ، حيث نجده متشكلا من جزئيات متعددة ِرجلٌ ، رأسٌ، ظفرٌ، لونٌ، ضحكٌ، بكاء ... ، والأمر الذي يشكّل حقيقة الفرد الإنساني هو مكونات تخضع لها هذه الجزئيات ، ويمكن إرجاع هذه المكونات إلى ركنين أساسيين :

إحداهما: العقلانية .

ثانيهما: الوجدان (العاطفة) .

فالعقلانية (التعقل) والوجدان (العاطفة) في تفاعلهما وتعاونهما على مستوى حقيقة الإنسان ، يحددان عوامل الاعتلاء والسقوط . وهنا يثار السؤال الأساسي : من يضع المكونات لحقيقة الإنسان على الصراط المستقيم والمسلك الصحيح ؟

للإجابة على السؤال الأساس ، نرى أنّ الرؤية القرآنية تطرح حقيقة في غاية الأهمية والخطورة ، وهي أنّ الأمّة أو الجماعة لا يمكن لها التحرك اختياريا نحو التغيير إلا إذا حمِلّ أفراد خارقيين للعادة عقلانيتها ووجدانها نحو هدف خاص ، ونلمح هذه الحقيقة في قوله تعالى : (إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا) النحل/١٢٠ .

فالخلاصة ، أنّ المجتمع له بعدان :

الأوّل : ثبات المجتمع : وهذا يرجع إلى الشخصيات التي تمثل أئمة لأفراد الأمة الواعية العاقلة ، فهي التي تحرّك المجتمع نحو الاعتلاء أو السقوط .

والثاني : تغيّر المجتمع : وهذا يرجع إلى أفراد الأمّة ، بوعيها وفعّاليتها وإعمال اختيارها في حركتها نحو الكمال والازدهار.

والسلام عليكم و رحمة الله وبركاته .

الفهرست

القسم الأوّل : أبعاد الإنسان ٢
أولا - أبعاد الإنسان :..... ٢
١ - البعد الطبيعي (الحيواني):..... ٢
طرح إشكاليّة : ٤
٢ - البعد المعنوي:..... ٥
٣ - البعد الإلهي:..... ٦
أ - النفس الأمّارة : ٦
ب - النفس اللوّامة :..... ٧
ج - النفس المطمئِنّة:..... ٧
١ - الإيمان نور إلهي : ٧
٢ - الإيمان والموّ : ٨
٣ - الإيمان والتقوى والعلم :..... ٨
٤ - الإيمان ضد الخوف والحزن : ٨
ثانيا - الكمال الإنساني: ٩
ملاك الكمال الإنساني :..... ٩
الخلاصة :.....١٠
القسم الثاني : المجتمع الإنساني في الرؤية القرآنية ١٠
١ - السنن الكونية :.....١٠
٢ . علل اعتلاء المجتمعات وسقوطها :.....١١
تبصرة : ١٢